جمال شاهين

وهم الإلحاد العالمي

نشر المكتبة الخاصة

٢٠٢٣

منشورات ٢٠٢٣/ ١٤٤٤

المكتبة الخاصة

جمال شاهين

دعم

الإتحاد العالمي

جمال شاهين

وهم

الإلحاد العالمي

ملخص مفيد حول قضية الإلحاد العصري

الإلحاد

الإلحاد : حاد لغة : هو الميل عن القصد، والعدول عن الشيء، ومصدره لحد، واللحد هو الشّقُ في جانب القبر

فالإلحاد لغة يراد به كل من مال عن القصد والحقّ، وأطلقت العرب صفة الإلحاد على أيّ أحد أظهر بدعةً وإن كان مؤمناً بالله وبنبيه، وإطلاقها على الكفار والزنادقة أشهر وإن كانوا على أديان أو مذاهب أخرى.

الإلحاد اصطلاحاً :هو مذهب فكري ينفي وجود خالق الكون، واشتقت التسمية من اللغة الإغريقية (أثيوس) وتعني بدون إله. ومن هنا ظهرت التفرقة بين مصطلح الإلحاد وبين الربوبي واللا أدري.

وبناءً على تلك الفروق ظهرت العديد من المصطلحات –في الفكر الإلحادي– الكاشفة لعقيدة صاحبها بشكل أكثر دقة، مثل: الملحد، اللاديني، ضد الدين ، الربوي ، اللاأدري، المتشكك، العلماني وسياتي توضيحها في هذا المختصر .

الإلحاد إذن هو : مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى :فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق. وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

يعد أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيين للإلحاد، ومن هؤلاء : أتباع الشيوعية والوجودية والداروينية .أما انتشار الحركات الإلحادية بين المسلمين في الوقت الحاضر، فقد بدأت بعد سقوط الخلافة الإسلامية.

الإلحاد في التاريخ

يظن بعض الناس أن الإلحاد بدأ بعد ظهور داروين بنظرية التطور، ولكن هذا الاعتقاد خاطئ تماماً، فالإلحاد موجود في التاريخ القديم.

أول هذه الحركات المسجلة تاريخياً للإلحاد كانت في الهند بالتقريب ١٠٠٠ (ق.م.)، حيث كانت أول علامات الشك في النص المكتوب في فيدا (أحد المخطوطات المقدسة للديانات الهندية): «من يعلم عن يقين؟ من يعلنها هنا؟ متى ولد ومتى تكون هذا الخلق؟ الآلهة خلقت بعد ميلاد هذا الكون. إذن من يستطيع أن يعلم من أين نشأ الكون؟ لا أحد يعلم كيف تكون الخلق ولا هل هو (الإله الأعظم) من صنع العالم أم لا. هو من يفحص الكون من السماوات العليا، هو من يعلم، أو ربما هو لا يعلم». وبعد ما يقرب من ٥٠٠ عام أخرى (٥٠٠ ق.م.) ظهرت البوذية، والتي استوحت أفكارها من الـ **"Rig-Veda** حيث حاول بوذا (٥٦٣-٤٨٣ ق.م.) أن ينقل الفكر من التركيز على الآلهة، والتي كان عددها قد جاوز الآلاف في الهندوسية، إلى التركيز على المعاناة الإنسانية والخلاص منها.

فأرجع بوذا سبب المعاناة إلى تعلق البشر ورغباتهم، وهي التي تخلق الألم عند عدم تحقق الرغبات، وللتخلص من المعاناة والألم، ينبغي التخلص من الرغبة. وبالتالي الوصول إلى اللاتعلق، أو اللارغبة. وفيها يتوحد الإنسان بالكون ويذوب فيه. وعندما سئل بوذا عن وجود الله لم يجب، فالبوذية لا تختص بالآلهة بل بالمعاناة البشرية وبالتالي لا تحمل أي إجابة عن الله، وهذا ما يصنف في العصر الحديث باللاأدرية"

وفي العصر نفسه تقريباً كانت الفلسفة اليونانية في كل أنحاء القارة الأوروبية، ففي حوالي عام ٤٢٠ ق.م. ظهرت النزعة المادية في اليونان، وبدأ مبدأ الذرات كعنصر أوحد وأساسي للكون في الظهور على يد" ديموقريطس" ، والذي دفع بنظريته إلى حد أنه ألغى وجود الآلهة في عالم مادي بحت، ويُقال أيضًا إنه من المؤسسين لعلوم الفلسفة والرياضيات ونظرية المعرفة.

وبحلول القرن الرابع قبل الميلاد (٣٤١-٢٧٠ ق.م.) ظهر في اليونان" إبيقور" والذي يعتبر

أول فيلسوف ملحد ظاهر، وهو الذي أنشأ ولأول مرة «مجادلة الشر» التي تقول:

"هل الله يريد أن يمنع الشر ولكنه لا يستطيع؟ إذن فهو ليس كلي القدرة. هل هو قادر على منع الشر ولكنه لا يريد؟ إذن فهو خبيث وشرير النزعة. هل هو قادر ويريد منع الشر؟ إذن من أين أتى الشر؟ هل هو غير قادر ولا يريد منع الشر؟ إذن لماذا نطلق عليه إله؟" و هذا مما قاده بعد ذلك إلى تبني إلهين، أحدهما للخير والآخر للشر، ويقال إنه لم يؤمن في حياة بعد الموت. وربما كان هذا بداية الحركة الفكرية التي قادت زرادشت في فارس إلى الخروج بديانة الصراع بين إلهين إله الخير «أهور-مزدا» وإله الشر "أهرمن".

وفي العصر الحديث استنادًا لكتاب «تاريخ الخالق الأعظم" للكاتب كارين أرمسترونغ، فإنه ومنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن التاسع عشر ومع التطور العلمي والتكنولوجي في الغرب بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم.

تاريخ الإلحاد القديم

الإلحاد من حيث هو إنكار لوجود الإله وكل ما يتعلّق بذلك من خلق وإيجاد رسالات وحساب وجزاء لا يعرف له وجود تاريخياً. وإن وجدت بعض الإشارات التاريخية فهي لحالات معدودة ونادرة ويعجز التاريخ المكتوب والمروي عن تزويدنا بأول ملحد.

وأول الملاحدة الذين عُرفوا وسُجلت عنهم آراء أو كتابات إلحادية كانوا في اليونان وهم: دياغوراس من ميلوس ٤١٥-٤٦٥ ميلادية. كريستياس ٤٠٣-٤٦٠ ميلادية. ديوجين الكلبي ٤١٢ ميلادية. ثيودور الملحد ٣٢٠ ميلادية. هؤلاء هم من نُقلت عنهم عبارات أو تواليف تنفي صراحة وجود الخالق. وغير هؤلاء ممن يذكرهم الملحدون المعاصرون ويتكثرون بهم فإنهم لا تنطبق عليهم صفات الملاحدة، وأكثرهم يمكن أن تطلق عليهم وصف لادينيين لكنهم يقرّون بوجود خالق للكون.

تاريخ الإلحاد الحديث

حتى خمسمائة عام مضت كان المصدر الأساسي للمعرفة في أوروبا هو الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، كما تبنّى رجال الكنيسة الكاثوليكية آراء أرسطو وبطليموس العلمية حول الكون وكوكب الأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي وألحقوها بمفاهيمهم المقدسة، حتى غدا أرسطو مقدّساً عندهم وكأنه من رجال الكنيسة الأوائل.

وبعد ظهور آراء كوبرنيكوس بحساباته الرياضية لدوران الأفلاك وتأكيد جاليليو ذلك بتليسكوبه، وما تبع ذلك عند اكتشاف الميكرو سكوب الذي تم من خلاله رؤية الجراثيم التي تسبب الأمراض وما نتج عن ذلك من إنعدام أهمية القسيسين في علاجها بصلواتهم، حيث يغني عن ذلك الدواء مما قلل من أهميتهم وأضعف الكنيسة.

وظهرت بعد ذلك نتائج عملية مهمة لمكتشفات نيوتن الذي وضع قوانين الحركة الثلاثة وقانون الجاذبية . نتج عن كل ذلك انهدام لجميع القواعد العلمية التي آمنت بها الكنيسة وأجبرت الناس على الإيمان بها وتصديقها وأضفت عليها صفة القداسة طوال قرون جهلهم .

وتسببت تلك الاكتشافات في صراع بين العلم ورجاله من جهة وبين قادة الكنيسة ورجالها من جهة أخرى. وكان للثورة العلمية في أوروبا أثر مدمر للكنيسة إذ أعقبتها مباشرة نزعة شكية إلحادية كبرى، مازالت تتضرم حتى اليوم.

أسباب الإلحاد

يتعجب البعض ويتساءلون: وهل للإلحاد أسباب؟؟!! نقول ببساطة، بما أننا بشر وتراودنا الأفكار المتناقضة فلا بد من وجود أسباب يمكن بمعرفتها أن نضع يدنا على ما نواجه به الملحدين ومنها:

١- الأهواء البشرية: فحب الشهوات من غريزة جنسية ومال وعجب وغرور وكبرياء يجد فيها الملحد ضالته، فهو يريد أن يفرغ شهوته بدون ضوابط ولا حساب ولا عتاب، ويحب أن يجمع المال كيفما شاء وينفقه فيما شاء دون أن يجد محاسبة وتقييدا له في حياته، وحبه للظهور

والخروج عن المألوف بين معارفه فيظهر نفسه كأنه الأكثر فهما وجرأة.. والكثير من الأهواء التي تعتري البشر فتوصلهم أو تسهل عليهم الإلحاد والعياذ بالله.

٢- الرغبة القاصرة: لأن الملحد عندما يخاف وجود الله يفكر في إنكاره ويصل بعدها لعدم الإيمان به.

أشكال الإلحاد المعاصرة

١ -الإلحاد الفلسفي :وهو منتشر بين الطلبة في كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

٢ -الإلحاد العلمي :وهو الإلحاد الممجد للعلم والمرتكز على نظرية دارون.

٣- الفكر الإلحادي القوي :وأصحابه يُعرفون بالملاحدة الأصوليون. وهم الذين يُنكرون وجود الإله ويسوقون الأدلة على ذلك ويروجون لفكرهم ويهاجمون الدين والمتدينين ويسبونهم.

٤ -الفكر الإلحادي الضعيف :وأصحابه لم يجدوا أدلة كافية تقنعهم بوجود الإله، لكنهم لا ينشرون أفكارهم، ولا يعيرون الأمر اهتماماً كفياً.

٥ -الإلحاد المطلق :وهو إنكار الألوهية وما يتفرّع عنها من الرسل والرسالات.

٦ -الإلحاد الجزئي :وهو الاعتراف بوجود إله خالق مع إنكار تصرّفه وسيطرته على البشر.

٧ -اللاقدرية والعدمية :وهي اليأس من عدالة الأرض والسماء والشعور باللاجدوى.

٨ -الإلحاد العابر :في مرحلة من مراحل العمر وخاصة المراهقة و الشباب.

٩ -الإلحاد الباحث عن اليقين .

١٠ -الإلحاد الانتقامي :الموجّه ضد رمز أو رموز أو ممارسات دينية مكروهة أو مرفوضة.

١١ -الإلحاد التمردي :من خلال التمرد على السلطة أيّاً كان نوعها.

١٢ -الشيوعيون :الذين يريدون تحويل المجتمعات إلى مستعمرات كادحة ولن يمكن تحقيق ذلك في وجود المعتقدات الدينية ولذا يحاربون الدين للقضاء عليه ولو بالقوة.

١٣ -الهاربين من الدين :وجدوا في الإلحاد هروباً من قيود الدين أو إثباتاً لذواتهم أو تحقيقاً

لمصالح أخرى.

١٤ -الشكاكين :هم فئة شكاكين في كل شيء وكثيرون منهم يلتزمون الصمت، ولا يطرحون شكهم للنقاش.

ظاهرة الإلحاد الحديثة

وكانت ردود أفعال رجال الكنيسة واستبدادهم وسلوكهم الاضطهادي أدت لحدوث ردة فعل نفسية شديدة لدى العلماء مما انعكس على سلوكهم وعلى سلوك عامة الناس أيضاً.

وألقت هذه الأزمة بظلالها على المفكرين والعلماء حتى قادت الناس في أوروبا في القرن السابع عشر إلى ما عرف بحركة التنوير وزاد الشقاق حتى غرق الأوروبيون في القرن الثامن عشر إلى مستنقع الشك الكامل في كل موروثهم الاعتقادي والعلمي الذي كانت تشرف عليه الكنيسة وتجبر الناس على الامتثال الكامل له.

وتوالى هذا الصراع على أشدّه حتى انحسر دور الكنيسة وتراجعت إلى الزوايا البعيدة وخاصة بعد الثورة الفرنسية ، ثم بدخول القرن العشرين كان الأوروبيون مستعدين لأمثال مقولة"الدين أفيون الشعوب"التي كان لها وللعقيدة الماركسية أثر كبير في رسم مسار التاريخ الأوروبي الحديث.

وجاء سؤال نيتشه :ألالماني هل مات الإله؟ ليحتل مركز الصدارة في الفكر الأوروبي، وليتحول من مجرد رأي لفيلسوف حتى يصبح عنواناً يتكرر في الصحف اليومية بشكل مستمر، وكان ذلك متوافقا مع النفسية المتشككة والرافضة لكل ما ورثته عن الكنيسة حتى أصبحت وكأنها ستقبل بأية فكرة لمجرد معارضتها لأفكار ومعتقدات الكنيسة التي ذاق الأوروبيون منها ومن استبدادها الأمرين طوال القرون الماضية.

الفرق بين الإلحاد الغربي والإلحاد العربي: يفرّق بعض الباحثين بين الإلحاد في نمطه الغربي وبين نمطه العربي، حيث أن الملاحدة في النمط الغربي ، هم من المنكرين لوجود الخالق سبحانه وتعالى.

بينما الملاحدة في السياق العربي والإسلامي بشكل عام يسجل التاريخ أن كثيرا ممن أتهم بالإلحاد ليس منكراً لوجود الخالق سبحانه وتعالى، لكن أكثرهم لديه تخبطات عقدية كبرى، مثل إنكار النبوة أو القول بالاتحاد، يقول عبد الرحمن بدوي:(إذا كان الإلحاد الغربي بنزعته الديناميكية هو ذلك الذي عبّر عنه نيتشه حين قال" لقد مات الله" وإذا كان الإلحاد اليوناني هو الذي يقول:" إن الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتت" فإن الإلحاد العربي هو الذي يقول: "لقد ماتت فكرة النبوة والأنبياء").

ومن هنا فإن فكرة إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى في نمط الإلحاد العربي المعاصر هي فكرة طارئة عليه وليست قديمة كما هي في نمط الإلحاد الغربي.

وخلاصة ما يقدمه الملاحدة في جميع أنماطهم هو أن الإنسان لا يساوي شيئاً في هذا الوجود العبثي الذي جاء صدفة وسينتهي صدفة ولا قيمة تذكر له لا في لحظة ميلاده ولا بعد مماته، وإنما هو مجموعة من الذرات المادية التي اجتمعت بغير سبب والتي غداً ستفترق لا أدنى مغزى ولا معنى في الحياة!!

محاربة الدين

صدر كتاب في تركيا عنوانه: مصطفى كمال للكاتب قابيل آدم يتضمن مطاعن قبيحة فالأديان وبخاصة الدين الإسلامي. وفيه دعوة صريحة للإلحاد بالدين وإشادة بالعقلية الأوروبية.

إسماعيل أحمد أدهم المصري التركي حاول نشر الإلحاد في مصر، وألف رسالة بعنوان لماذا أنا ملحد؟ وطبعها بمطبعة التعاون بالإسكندرية حوالي سنة ١٩٢٦م

أسست في مصر سنة ١٩٢٨م جماعة لنشر الإلحاد تحت شعار الأدب واتخذت دار العصور مقراً لها واسمها رابطة الأدب الجديد وكان أمين سرها كامل كيلاني.. وقد تاب إلى الله بعد ذلك.

ومن أعلام الإلحاد في العالم

أتباع الشيوعية: ويتقدمهم كارل ماركس ١٨١٨ – ١٨٨٣م اليهودي الألماني. وإنجلز عالم الاجتماع الألماني والفيلسوف السياسي الذي التقى بماركس في إنجلترا وأصدرا سوياً المانيفستو

أو البيان الشيوعي سنة ١٨٢٠ – ١٨٩٥م.

أتباع الوجودية: ويتقدمهم: جان بول سارتر. وسيمون دوبرفوار.والبير كامي.

وأتباع الداروينية.

ومن الفلاسفة والأدباء: نيتشه/ فيلسوف ألماني. برتراند راسل ١٨٧٢ – ١٩٧٠م فيلسوف إنكليزي .هيجل ١٧٧٠ – ١٨٣١م فيلسوف ألماني قامت فلسفته على دراسة التاريخ. هربرت سبنسر ١٨٢٠ – ١٩٠٣م إنكليزي كتب في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق ، فولتير ١٦٩٤ – ١٧٧٨م أديب فرنسي.

الأفكار والمعتقدات التي يتشبع بها الملحدون

إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً. إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت. إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت. النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم ، إنكار معجزات الأنبياء؛ لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون.

ومن العجب أن الملحدين الماديين يقبلون معجزات الطفرة الوحيدة التي تقول بها الداروينية ولا سند لها إلا الهوس والخيال.

عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.

ينظر الملاحدة للتاريخ باعتباره صورة للجرائم والحماقة وخيبة الأمل وقصته لا تعني شيئاً.

المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة ، تختلف اختلافاً جذريًّا وكليًّا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي!!

الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية، الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات .نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ، ونظرية فرويد في علم النفس ونظرية دارون في

أصل الأنواع ونظرية دور كهايم في علم الاجتماع من أهم أسس الإلحاد في العالم.. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية ولا صلة لها بالعلم.

تبنى الفكر الإلحادي المعاصر عدة مفاهيم

١ - نشأ الكون تلقائيا، نتيجة لأحداث عشوائية، دون الحاجة إلى صانع.

٢ - ظهرت الحياة ذاتيا من المادة، عن طريق قوانين الطبيعة.

٣- الفرق بين الحياة والموت هو فرق فيزيائي بحت، سيتوصل إليه العلم يوما ما.

٤- ليس الإنسان إلا جسد مادي، يفنى تماما بالموت.

٥ - ليس هناك وجود لمفهوم الروح.

٦- ليس هناك حياة أخرى بعد الموت.

٧- من كل ما سبق، ليس هناك حاجة إلى القول بوجود إله.

الانتشار وأماكن النفوذ

انتشر الإلحاد أولاً في أوروبا، وانتقل بعد ذلك إلى أمريكا.. وبقاع من العالم .وعندما حكمت الشيوعية في ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي قبل انهياره وتفككه، فرضت الإلحاد فرضاً على شعوبه.. وأنشأت له مدارس وجمعيات، وحاولت الشيوعية نشره في شتى أنحاء العالم عن طريق أحزابها. وإن سقوط الشيوعية في الوقت الحاضر ينبئ عن قرب سقوط الإلحاد – بإذن الله تعالى.

يوجد الآن في الهند جمعية تسمى جمعية النشر الإلحادية، وهي حديثة التكوين وتركز نشاطها في المناطق الإسلامية، ويرأسها جوزيف إيدا مارك، وكان مسيحيًّا من خطباء التنصير، ومعلماً في إحدى مدارس الأحد، وعضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وقد ألف في عام ١٩٥٣م كتاباً يدعى: إنما عيسى بشر فغضبت عليه الكنيسة ، وطردته فتزوج بامرأة هندوكية وبدأ نشطاه الإلحادي، وأصدر مجلة إلحادية باسم إيسكرا أي شرارة النار. ولما توقفت عمل مراسلاً لمجلة كيرالا شبدم أي صوت كيالا الأسبوعية. وقد نال جائزة الإلحاد العالمية عام ١٩٧٨م ويعتبر

أول من نالها في آسيا.

وينقسم الملحدون إلى أربع مجموعات

١ - علماء وفلاسفة، تبنوا الإلحاد، ثم وجدوا في نظرية التطور الدارويني (تطور الكائنات الحية نتيجة لطفرات عشوائية تحدث بالصدفة) حجتهم العلمية الكبرى.

٢ - الشيوعيون، الذين يريدون تحويل المجتمعات البشرية إلى مستعمرات من النمل والنحل، ولا يمكن تحقيق ذلك في وجود المعتقدات الدينية، فينبغي القضاء عليها ولو بالقوة.

٣- أفراد غير متخصصين غير مأدلجين، وجدوا في القول بالإلحاد هروبا من قيود الدين أو إثباتا لذواتهم أو تحقيقا لمصالح أخرى.

٤ - عدد لا بأس به من الصامتين من كل الديانات والمجتمعات والأجناس، ممن لديهم شك، لكنهم لا يطرحونه للنقاش. ويمكن إرجاع شك هذه الفئة إلى عاملين:

- المظهر العلمي والفلسفي الذي يطرح به أصحاب الفكر الإلحادي القوى أفكارهم.

- الأسلوب المنغلق الذي تعلموا به دياناتهم، حيث يرفض معلموهم أي منطق أو علم يخالف ما يفهمون، وهو ما يُسمى بأسلوب " هُوَّا كده " كما يدعى هؤلاء المعلمون الانفراد بالفهم عن الإله، وأن على الآخرين أن يُسلموا لهم بذلك.

مصطلحات الالحاد

وتتردد في مجال الإلحاد مصطلحات ينبغي إدراك الفرق بينها، وأهمها:

الملحد : هو المنكر للدين ولوجود الإله.

اللاديني: يفضل الملاحدة أن يُطلق عليهم اللادينيين، بينما لفظ اللاديني يعنى من لا يؤمن بدين وليس بالضرورة أن يكون منكرا للألوهية.

ضد الدين :هو الملحد الذي يتخذ موقفاً عدائياً من الإله والدين والمتدينين.

الربوبي هو الذي يؤمن بأن الرب قد خلق الكون، ولكنه ينكر أن يكون قد تواصل مع البشر عن طريق الديانات.

اللاأدرى : هو الذي يؤمن أن قضايا الألوهية والغيب لا يمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها (كما لا يمكن نفيها)، باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك.

المتشكك : هو الذى يرى أن براهين الألوهية لا تكفى لإقناعه، وفى نفس الوقت لا يمكنه تجاهلها.

العلماني : العلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على العلم المادي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين ومن ثم فهو اصطلاح سياسي لا علاقة له بعقيدة الفرد الدينية. ولا شك أن كثير من العلمانيين لا دينيين، خصوصا في بلاد الغرب.

عجز الحواس

ولا شك أن حواس الإنسان عاجزة عن إدراك حقيقة الوجود المحيط بنا، فقدرة الحواس على الاستقبال محدودة للغاية؛ فإن مَثَلْنَا الموجات المحيطة بنا بخط يبلغ طوله ١٥٠ مليون كيلو متر فإن عيوننا تبصر منه ١,٥ متر فقط !! كذلك فإن كفاءة المخ البشري في التعامل مع ما يحيطه من معلومات محدودة إلى درجة هائلة !! هل تعلم أن المخ يتعرض لـ ٤٠٠ مليار معلومة في الثانية الواحدة، ولا يدرك منها سوى ٢٠٠٠ معلومة فقط !! يا الله ... ما أشد عجز مخ الإنسان وحواسه !!

عناصر الخلية

فعند دراسة الخلية الحية – مثلا – يوصلنا الاختزال المنهجي إلى العناصر الأولية للخلية (ذرات الكربون والهيدروجين والأوكسجين والنيتروجين والكبريت والفوسفور). فإذا حاولنا تطبيق الاختزال المعرفي، أي فهم الحياة (الأعقد) بدراسة العناصر الأولية (الأبسط) لن نخرج بنتيجة، إذ ستكون ظاهرة الحياة قد اختفت تماما من الخلية. كذلك يؤدى اختزالنا لمادة المخ البشرى اختزال منهجي واختزال معرفي إلى أن يتساوى عقل أينشتين مع قطعة من الفحم التي يشعلها البعض لتدخين الشيشة! هذه النظرة قاصرة وخطيرة!

فقد وصفا لكل موجود عللا أربعة: العلة المادية، وهى المواد التي صُنعت منها التورتة. والعلة الصورية، وهى الهيئة التي شكلت عليها. والعلة الفاعلة، وهي العمة فضيلة. والعلة الغائية، وهي الغرض الذى من أجله صنعت التورتة. إن العلة الغائية تقع خارج نطاق العلم، ولا يستطيع أن يطلعنا عليها إلا العلة الفاعلة.



ولما كان العلم لا يدرك العلة الغائية، فقد اعتبر الماديون الطبيعيون ألا حاجة للبحث عن الغاية ولكن ذلك لا ينفى – رغم أنف المعارضين – أن الغاية علة حقيقية للأشياء. ولا ينفى ذلك أن للعقل دورًا مع العلة الغائية، فالعقل – وإن كان يعجز عن التوصل إلى الغاية بذاته – الذي يحكم على مصداقيتها. فإذا أخبرتنا العمة فضيلة أنها صنعت التورتة احتفالا بعيد ميلاد ابنتها إسراء، وكنا نعلم أن ليس لها ابنة بهذا الاسم، فسيرفض العقل قبول هذه الغاية.

ومن ثَمَّ إذا أخبرنا المتدينون أن هناك إلها هو العلة الفاعلة لهذا الكون، وأنه أطلعنا على الغاية من خلقه للإنسان، ويقوم بالإجابة عن التساؤلات التي لا يستطيع العقل وحده أن يجيب عنها، فإن العقل يقوم بفهم هذه المعلومات والحكم على مصداقيتها. إذا فالقول بالإله لم يعطل الدليل ولا المنطق ولا العقل.

منظومة التطور

عندما يُطلق اصطلاح الداروينية أو نظرية التطور، فهو يشير إلى منظومة من ثلاثة عناصر :

أولا: الأصل المشترك أو السلف المشترك ، ويعنى أن جميع الكائنات الحية حيوانية ونباتية تطورت عن أصل واحد (وهو الكائن وحيد الخلية) وربما عن أصول قليلة، أي بضعة خلايا .

وأحيانًا يُقصد بالأصل المشترك أن الكائن الأول كان موجودًا في مكان واحد في العالم، ومنه تطورت الكائنات وانتشرت في باقي أنحاء الأرض.

ثانيا: الطفرات العشوائية ، وتشير إلى أن الترقي من كائن إلى آخر أكثر تعقيدا حدث نتيجة لتغيرات عشوائية في الشفرة الوراثية للكائن على مستوى الكروموسومات أو الجينات، وترى الداروينية أن المفيد من هذه التغيرات يتراكم ببطء شديد مع تتابع الأجيال، حتى يحقق تغيرًا ملحوظا في الكائن وترقيا إلى آخر .

ثالثًا: الانتخاب الطبيعي : وهو آلية تنتقل بها الطفرات العشوائية المفيدة إلى الأجيال التالية، ومن ثم يتم المحافظة عليها. أما الكائنات التي تحتوى على طفرات ضارة فتموت وتندثر وتفنى.

ويُعتبر الانتخاب الطبيعي قانونًا علميا، إذ يعنى أن الأنسب والأصلح للحياة يبقى بينما يندثر غير المناسب، وهذه بديهة عقلية.

ظواهر بيولوجية فوق طاقة الداروينية

يقابلنا في عالم الأحياء عدد من الظواهر البيولوجية المبهرة التي تعجز عن تفسيرها آلية الانتخاب الطبيعي من بين طفرات عشوائية ، وهي ظواهر لن يجد لها العلم تفسيرًا ماديا مهما تكشف له من معارف في المستقبل، ومن هذه الظواهر :

١- إبهار في البنية: إشكالية الهيموجلوبين والكلوروفيل ، الهيموجلوبين هو أساس الحياة الحيوانية، إذ يقوم بحمل غاز الأوكسجين من الرئتين إلى الأنسجة، وحمل ثاني أكسيد الكربون بعيدا عنها.

الهيموجلوبين جزيء بروتيني يتركب من أربع سلاسل تتكون كل منها من ١٤٦ حمضًا أمينيا، وتصل فرصة تكوين سلسلة واحدة من خلال تراص عشوائي لهذه الأحماض الأمينية إلى ١٠-١٩٠. والمشكلة الأكبر أنه ينبغي أن يخرج الجزيء في إحدى هذه المحاولات صحيحًا كاملا، إذ إن الجزيء المشوه لن يسمح للكائن بالحياة والتكاثر، ومن ثم لن يستطيع الانتخاب الطبيعي تحسين وإصلاح الجزيء المعطوب .

أما الكلوروفيل، فهو أساس الحياة النباتية والحيوانية أيضًا ، إذ يقوم بتصنيع جزيئات السكر من طاقة الشمس والماء وثاني أوكسيد الكربون، وفى نفس الوقت يمد الحياة بغاز الأوكسجين!! كل ذلك من خلال عملية التمثيل الضوئي، ولم تستطع التكنولوجيا البشرية حتى الآن القيام بهذه المهمة، إنه حقا معجزة في هيئة جزئ كيميائي.

ب- إبهار في الوظيفة: إشكالية الحواس الدقيقة، يتوهم الداروينيون أن نشأة الحواس الخمس أمر سهل باعتبار أن الاستقبال وظيفة سلبية في الكائن الحى ! لذلك يُسوِّدون مئات الصفحات يشرحون فيها كيف تتحول بعض خلايا الجلد عشوائياً إلى عين مبصرة مثلا، إن دراسة أمينة متعمقة للتعقيد المذهل لهذه الحواس ومدى ما في أعضائها من توافق مبهر بين البنية والوظيفة تثبت دون أدنى شك سذاجة وانحياز مثل هذا التفكير.

ج- إبهار في السلوك: هجرة الطيور والأسماك أثبت العلم أن الطيور تعرف طريقها في رحلة الهجرة السنوية إلى أماكن تكاثرها والعودة منها، والتي تمتد لآلاف الكيلومترات عبر المحيطات والصحارى والغابات، عن طريق تتبع المجال المغناطيسي للأرض.

أما ثعابين السمك فحكايتها أكثر عجبًا، فبعد وضع البيض تموت الأمهات في المهجر، بينما تعود الصغار إلى موطن الأمهات عبر نفس الرحلة، وتصل إلى نفس الترعة الصغيرة المتفرعة من نهر النيل العظيم لتحيا فيها. كيف وُضعت المعلومات في الشفرة الوراثية للطيور والأسماك؟ هل تظن أنها التجربة أو الصدفة ؟!

د - إبهار التوافق بين الذكور والإناث، وإشكالية نشأة التكاثر الجنسي: لم؟ وكيف؟ ظلت الكائنات وحيدة الخلية التي تتكاثر بالانقسام الثنائي التكاثر اللاجنسي هي النوع الوحيد من الكائنات على كوكبنا طوال ثلاثة بلايين سنة. وما زال سبب وكيفية الانتقال من هذا النمط التكاثر إلى التكاثر الجنسي سر من الأسرار البيولوجية. والأشكل كثيرًا من ذلك؛ كيف تحدث بالصدفة التغيرات الملائمة المتوافقة في كل من الجنسين على حدة .

أتدري كيف يفسر الداروينيون هذا التوافق المذهل؟

يقول البيولوجي الدارويني مات رايدلى (في كتابه الملكة الحمراء): إن نشأة التكاثر الجنسي وما يحتاجه من توافق كان مجرد حادثة تطورية عَرَضية، تماما كأن تقود السيارة على الجانب الخطأ من الطريق لم نعطيه أهمية خاصة؟! أنا شخصياً لا أعتبر هذا تفسيرًا علميا بل تحايلا ساذجا، فهل تقبله أنت؟!

هـ - إبهار التعايش بين نوعين: التعايش بين الحيوانات آكلة العشب والبكتريا تحتاج الحيوانات آكلة العشب لبكتريا معينة للقيام بهضم مادة السيليولوز التي تتكون منها ألياف غذائها النباتي، وتحصل الحيوانات على هذه البكتريا التي تجد لنفسها المأوى في معدة الحيوان مع أول وجبة عشب تأكلها.

ماذا يحدث لو انقرضت هذه البكتريا؟ حتما ستموت الحيوانات آكلة العشب، وبالتالي ستموت الحيوانات اللاحمة التي تتغذى عليها، وفى النهاية ستكون حياة الإنسان في خطر حقيقي. كيف تم تنسيق هذا الأمر ووضع شروطه في الشفرة الوراثية لكلا الكائنين؟!

و - إبهار التوافق بين عدة أنواع إشكالية ظاهرة التطفل : تحيا ١٠٪ من الكائنات الحية متطفلة على كائنات أخرى. وتتم الكثير من هذه الطفيليات دورة حياتها من خلال عائلين عائل أساسي يحيا داخله الطور البالغ من الطفيل، وعائل وسيط (١) إن الأمثلة على ذلك تفوق الحصر، منها:

- كيف تتكون الكروموسومات المتماثلة في كل من الذكر والأنثى على حدة، بحيث يلتقيان عند إخصاب البويضة ليكونا زوج الكروموسومات المتماثل؟!

- كيف تتكون في رأس الحيوان المنوي الإنزيمات المناسبة لاختراق جدار البويضة الذى لا يعرف الذكر عن تركيبه شيئا؟!

- كيف يتشكل جسم الأنثى على الهيئة التي تثير الذكر الذي يوجه مزاجه هورمون جنسي ذكوري ليس له ملكات تذوقية جمالية؟!

---

(١) وسيط يتم فيه جزء مكمل من دورة الحياة. ومن ثم يمثل هذا النوع من التطفل علاقة بين ثلاثة كائنات كيف تم هذا التنسيق بين الكائنات الثلاثة؟

يمكن تقسيم ما ذكرنا من ظواهر بيولوجية مبهرة تُعجز الدراونة إلى مجموعتين؛ تعكس الأولى إعجازًا هائلا في بنية جزيئات الحياة (الهيموجلوبين والكلوروفيل) وفي دقة قيام الكائنات بوظائفها (الحيوانات المهاجرة)، والمجموعة الثانية تعكس توافقاً هائلا بين ذكور وإناث الكائن الواحد وبين كائنين وبين ثلاثة كائنات. فكيف يفسر الداروينيون هذا التوافق؟

نشأة العالم: هل هو مصادفة أو قصد؟

كتبها: فرانك ألن

عالم الطبيعة البيولوجية، ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنل - أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩٤٤ - أخصائي في أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وإنتاج الهواء السائل، وحائز على وسام توري الذهبي للجمعية الملكية بكندا.

كثيرا ما يقال إن هذا الكون المادي لا يحتاج إلى خالق، ولكننا إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته؟ هنالك أربعة احتمالات للإجابة عن هذا السؤال:

١ - فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال، وهو ما يتعارض مع القضية التي سلمنا بها حول وجوده.

٢ - وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم.

٣- وإما أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية.

٤- وإما أن يكون له خالق.

أما الاحتمال الأول فلا أمامنا مشكلة سوى مشكلة الشعور والإحساس، فهو يعني أن إحساسنا بهذا الكون وإدراكنا لما يحدث فيه لا يعدو أن يكون وهما من الأوهام ليس له ظل من الحقيقة. وقد عاد إلى هذا الرأي في العلوم الطبيعية أخيراً سير جيمس جينز الذي يرى أن هذا الكون ليس له وجود فعلي وأنه مجرد صورة في أذهاننا . وتبعا لهذا الرأي نستطيع أن نقول أننا نعيش في عالم من الأوهام، فمثلا هذه القطارات التي نركبها ونلمسها ليست إلا خيالات، وبها ركاب وهميون وتعبر انهارا لا وجود لها وتسير فوق جسور غير مادية.. الخ، وهو رأي وهمي لا يحتاج

إلى مناقشة أو جدال.

أما الرأي الثاني، القائل إن هذا العالم بما فيه من مادة وطاقة قد نشأ هكذا وحده من العدم، فهو لا يقل عن سابقه سخفا وحماقة، ولا يستحق هو أيضا أن يكون موضعا للنظر أو المناقشة.

والرأي الثالث الذي يذهب إلى أن هذا الكون أزلي ليس لنشأته بداية إنما يشترك مع الرأي الذي ينادي بوجود خالق لهذا الكون، وذلك في عنصر واحد هو الأزلية. وإذا فنحن إما أن ننسب صفة الأزلية إلى عالم ميت، وإما أن ننسبها إلى إله حي يخلق. وليس هنالك صعوبة فكرة في الأخذ بأحد هذين الاحتمالين أكثر مما في الآخر ، ولكن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وأنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ الطاقة، تنعدم وتستحيل الحياة. ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت. أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أن أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذاَ حدث من الأحداث. ومعنى ذلك أنه لابد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية، عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولابد أن يكون هذا من صنع يديه.

"إذا لم يكن الإله موجودًا ... فإن كل شيء مباح» دستوفسكى «الأخوة كرامازوف»

أنواع الذكاء

أنواع الذكاء الثمانية هي: الذكاء اللغوي ، الذكاء المنطقي - الرياضي، الذكاء المكاني، الذكاء الموسيقى، الذكاء الجسمي - الحركي، ذكاء العلاقة مع الآخرين ذكاء فهم الذات، الذكاء التصنيفي.

مكونات الذكاء الروحي

١ - الوعي بالذات: معرفة معتقداتي ، وموقعي من الوجود، ودوافعي العميقة.

٢ - إدراك أن العالم المادي جزء من حقيقة أكبر، تربطنا بها علاقات.

٣- القدرة على طرح الأسئلة المعرفية النهائية، والقدرة على فهم الإجابة عنها.

٤ – القدرة على التسامي على المفاهيم المادية، إلى مستوى أرقى وأسمى وأعمق.

٥ – الحياة تبعا للمبادئ والعقائد والمثل.

٦ – أخذ المفاهيم الروحية في الاعتبار في تعاملاتنا اليومية.

٧ – امتلاك قناعة شخصية تجاه الأمور، وإن اختلفت مع الأغلبية.

٨- التواضع، وإدراك حجمنا الحقيقي في العالم، والشعور بأننا أفراد من فريق.

٩- قبول الآخر المختلف عنا.

١٠ – الاستجابة لنداء الفطرة لمساعدة الآخرين.

١١ – الاستقامة الأخلاقية، والتمسك بالعفة والطهر.

١٢ – الشعور بأن سعادتي تنبع من داخلي، وليس من الإنجاز العملي أو المادي.

١٣ – نفاذ البصيرة وقوة الحدس.

صور من الإلحاد

الإلحاد الصبياني

اعتدنا في صبانا أن نتحاور مع أقراننا، وكان كل منا يحرص على استعراض قراءاته وإظهار ثقافته، وكنت كثيرًا ما أطرح على محاور سؤالا: إذا كان الله قد خلق الكون، فمن خلق الله ؟ وملخص تفنيد هذه الحجة الإلحادية، أن كل موجود حادث لابد له من موجد (سبب)، وإذا تسلسلنا في الأسباب لأعلى فسنصل حتما لسبب أول وراء كل الحادثات ينبغي ألا يكون له موجد، ويطلق علماء المنطق على استحالة التسلسل إلى ما لا نهاية اصطلاح «التسلسل يمتنع»، ومن ثم يصبح السؤال عن سبب السبب الأول الذى لا سبب له سؤال غبى!. وإذا كنا لا نستطيع تصور موجود لا مُوجود له، فإن هذا الدليل العقلي المنطقي» (التسلسل يمتنع) وكذلك «الدليل العلمي المتمثل في احتياج الكون والحياة والإنسان إلى مصمم ذكى «يحتمان الإقرار العقلي بالإله كمُوجد أول. إذاً فقضية الإله الأزلي تتعقل وإن كانت لا تتصور

إلحاد الندية والكبر :

في المناظرة التي دارت بين (د. عمرو الشريف) وبين قطب إلحادي، والتي أذاعتها إحدى الفضائيات، قال الملحد في يوم من الأيام قتلتُ بعوضة وتحديت الإله – إذا كان موجودًا ـ أن يقبل التحدي وأن يحييها!. يُعتبر التحدي لإحياء الموتى أحد أشكال الندية والكبر، وقد طرحه ملاحدة الأمم الغابرة على أنبيائهم، وكنت أظن أنه قد انقضى بانقضائهم، فإذا بالملاحدة المعاصرين يمارسونه بغباء. كيف يصير الأمر لو استجاب الله لكل تحد يطرحه ملحد ؟ لا شك أن الحياة ستصير مهزلة، ويصبح الملحدون هم الآلهة .

ويؤدى الشعور بالندية إلى فرض تصوراتنا على الإله من أمثلة ذلك تساؤل البعض: ما الذي يستفيده الإله من عبادتنا له طوال عمرنا ؟ لهؤلاء قلت إن قواعد المنظومة (أو اللعبة كما يقولون) يضعها الإله الخالق، وليس للعبد المخلوق إلا الطاعة والالتزام. فأنت إذا شاركت في لعبة كرة القدم مثلا عليك الالتزام بقوانينها، ولا تستطيع أن تطبق فيها قواعد لعبة كرة اليد!

إن جوهر المشكلة التي تولد إلحاد الندية والكبر وكذلك التمرد، إنه لا يمكن قياس علم وأفعال الإله المطلق الأزلي الأبدي الذى لا يحده الزمان ولا المكان ولا منظومة الأسباب على علم وأفعال الإنسان المحدود المحكوم بالأسباب. وقد أدت هذه الفوارق إلى أن الإله ليس كمثله شيء، أي أنه مختلف تماما عن البشر، ومن هذه الاختلافات أنه لا يفعل لغاية أو احتياج مثلما يفعل الإنسان.

إلحاد خالف تعرف:

فيقول هؤلاء نقر بوجود الإله، أما الأديان فادعاءات سببت كل ما في الدنيا من شقاء، ولا حاجة لنا بها. ويضيف آخرون ما دليلكم على أن الإله قد خلقنا لغاية، لم لا يكون قد خلقتنا وتركنا؟ وكيف ينشغل بتفاهات مثلنا ؟ هل هو في حاجة إلينا؟. أجبت هؤلاء: إن الإنسان إذا أقدم على فعل شيء دون سبب عددناه أبلها، فهل يُعقل أن يخلق الإله الوجود والإنسان دون حكمة أو غاية؟!.

قال بعضهم: كان ينبغي على الإله أن يأخذ رأيي قبل أن يخلقني! وبأي حق يحاسبني إن لم أعبده، الستُ حُرًّا ؟ إزاى يحاسب واحد على لعبة هو مش عاوز يلعبها»؟

لهؤلاء قلت: لو مش عاجبك أنسحب من اللعبة! قال: كيف؟ قلت: بالانتحار! وليس هناك عاقبة تخشاها فأنت لا تؤمن بالبعث والحساب وأضفت إن عدم إقدامك على الانتحار لهو أكبر دليل على رضائك عن خَلْقِهِ لك، حتى إنك قبل أن تعبر الشارع تنظر يمنة ويسرة عدة مرات حفاظاً على حياتك. أَفْحَمَته حجتي فقال: ربما يكون هناك شيء مما تقول، عندها سيعذبني إلهك إنه يعاملنا كالعبيد. قلت له: أخيرًا وصلت إلى الحقيقة. فعلاقة الله بنا هي علاقة السيد بالعبد، وهذا ما تحاول دائما التملص منه بادعاء الندية. والعدل يقتضي أن يكون الإله الرحمن الرحيم أيضًا منتقما جبارًا مذلّا. وأضفت إن الإسلام يتبنى هذا المفهوم الذي يجمع بين الجمال والجلال ولا يكتفى بأن الله محبة كما يعتقد المسيحيون، أو أنه «غضوب فقط كما يعتقد اليهود. فلله الأسماء الحسنى جميعا، جمالها وجلالها، ومن لم يعرف ذلك فمعرفته بالإله ناقصة.

وشكى بعضهم أن الإله يحاسبنا على اختياراتنا بالرغم من أنه فرض علينا أشياء، كالعائلة والبلد والمرض وأحداث كثيرة بها يمر بنا . قلت لهؤلاء؛ إن الله لا يحاسبنا على هذه الأشياء، الحساب لا يكون إلا على ما فيه مجالا للاختيار، ويرجع ذلك إلى أن حرية الإنسان مقيدة وليست مطلقة، ذلك لأن قدراته ليست مطلقة، فحرية الإرادة بقدر المقدرة، لذلك تزداد حرية الإنسان في عمله بقدر ارتقائه في السلم الوظيفي، أليس كذلك؟!.

ويتهم الملاحدة المؤمنين بأنهم جبريون، إذ يؤمنون أن الله دَوَّنَ كل ما سيقع حتى يوم القيامة في لوح محفوظ وأننا ملزمون بأن نتبع ما دَوَّنه، ويرى الملاحدة أن هذا جبر محض وظلم بين. قلت لهؤلاء: إن العلم الإلهي الذى لا يحده الزمان كاشف لما سيحدث وليس مُلزما. ولنوضح ذلك نضرب مثالا : تصور إنسانًا اخترع آلة الزمان، وتقدم بها مائتي عام في المستقبل، ورأى ما سيفعله أحفاده، ثم عاد الزمان ودَوَّنَ ما رأى، هل ما دَوَّن الرجل مُلزِم لهم أم أنه دَوَّن ما صدر منهم بالفعل. هذا هو حال العلم الإلهي الكاشف. ولا يتعارض ذلك مع إرادة الله ل المطلقة،

فقد أراد الله ل أن تكون لنا إرادة.

إلحاد الإله العاجز:

قال لي الشاب الملحد، وقد علت وجهه ابتسامة خبيثة: هل يستطيع إلهك أن يخلق إلاها أكبر منه أو أقوى منه؟ وهل يستطيع أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟

ظن ذو الابتسامة الخبيثة أنه قد وضعني في مأزق؛ فإن قلت إن الله يستطيع، فإني بذلك أنفى أنه الأكبر والأقوى. وإن تهربت من هذا الاستنتاج بأن قلت إنه لا يستطيع، كنت أثبت على إلهى العجز، حاشاه. قلت للشاب، إن كلا من سؤاليك ينطوي على تعارض بديهي، ومن ثم يناقض نفسه ولا يجوز طرحه. وأضفت إنك تطلب مستحيلات عقلية، كأن ترسم دائرة مربعة! فكيف تطلب أن يخلق الله إلاها (سواء أكبر وأقوى أو أصغر وأضعف) بينما الإله لا ينبغي أن يكون مخلوقا؟! وكيف تطلب أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها، بينما كل مخلوق يستمد صفاته من خالقه، ولا يمكن بداهة أن يكون الفرع والجزء أكبر من الأصل والكل. إن سؤاليك سؤالين مستحيلين عقليا.

إلحاد الإله المخادع

قال الملحد : تدَّعون أن الإسلام هو الدين الحق، فكيف يرسل الإله لأقوام رسلّا بديانات فاسدة؟ ولماذا ركز الديانات كلها في منطقة الشرق الأوسط بينما حَرَمَ أقوامًا آخرين من الديانات تماما ؟ . وبعد ذلك يحاسب ربكم البشر ويُدخل النار أقواما لا ذنب لهم. إن إلهكم الذي تدعون إله ظالم مخادع.

كذلك لم يترك الله على أمة دون أن يرسل لها رسولًا ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... [النحل]، بل ما كان الله ليعذب من لم تصله الرسالة ... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء]. إن الله ليس بمخادع، بل الملاحدة هم الذين يخدعون أنفسهم.

- إلحاد الإله الظالم القاسي :

يبلغ الإلحاد السفسطائي مداه بادعاءات تصف الإله بالظلم. فيقول بعضهم: كيف يعاقب إلهكم الرحمن الرحيم الإنسان على معاص يرتكبها في حياته القصيرة (وإن كثرت) بعذاب أبدى لا يحتمله بشر.

قلت لهذا المعترض: ولماذا لم يدهشك عِظَم الثواب والنعيم في جنات تخلد فيها مقابل طاعات قليلة؟! إن حجتك تصبح ذات قيمة إذا كان عِظَم العقاب يقابله فقط النجاة من العقاب في حالة الطاعة، إلا أن عظم العقاب يقابله عظم الثواب. ولم يكتف الإله بذلك، بل ذلك على طريق الجنة وأعانك على السير فيه وتعهد بأن يُبدل سيئاتك حسنات في حال التوبة من المعاصي وأضفت إن الإنسان إذا سب كلبًا أزعجه فله العذر، أما أن يُهين والديه فلا عذر له. أعنى لا تنظر فقط إلى عِظَم المعصية، لكن انظر في حق من ارتكبت المعصية.

أجابني الشاب الملحد قائلا: لقد تكررت كلمة العذاب بمشتقاتها في قرآنكم قرابة أربعمائة مرة، ربما أكثر من أي كلمة أخرى، أليس هذا دليل على القسوة الشديدة؟. قلت له؛ إنك تقلب الأمور وتجعل الرحمة قسوة، أما كان ينبغي أن تقول إن الله حذرنا أربعمائة مرة، وفي كل مرة وصف لنا طريق النجاة. وضربت لذلك مثالاً : ما قولك في أم تنبه أولادها كلما خرجوا من المنزل ـ أن يأخذوا حذرهم عند عبور الطريق؟ هل تصف هذه الأم بالقسوة لأن تحذيرها يجعل أولادها يستحضرون في أذهانهم احتمال الإصابة في حادث ؟! أم أن سلوك الأم هو عين الحب والرحمة؟.

فظائع الإلحاد

ماوتسى تونج وستالين وغيرهم قتلوا قرابة ٩٤ مليون شخصا لينشروا مذهبهم الإلحادي الفاسد؟! وهل تنتظر من الله أن يلتمس العذر لهتلر الذي قتل قرابة ثلاثين مليون شخص لأن حياته كانت قصيرة ؟!.

أصر الشاب على عناده وقال: كيف يطلب إلهكم من نبيه إبراهيم أن يذبح ابنه، أي قسوة تلك أن يُطلب من أب مسن أن يذبح وحيده الذي رزق به على كبر ؟ قلت له: هل طلب منك مثل

ذلك؟ أجابني بلا . قلت: وهل طلب ذلك من إنسان آخر سوى إبراهيم؟ فقال لا. فعقبت شارحًا الموقف: إن إبراهيم ادعى (عن حق) أن ليس أحد أو شيء أحب إلى قلبه من الله ، فكان طبيعيا أن يُختبر في هذا الادعاء السامق بمثل هذا الطلب القاسي، وقد كان الطلب ذبحا لتعلق إبراهيم بابنه وما كان الله ليدع إبراهيم يقتل وحيده، بل كان جزاء إخلاص إبراهيم إلى أن صار خليلا للرحمن وأن أصبح موقفه هذا عيدًا تحتفل به البشرية كل عام حتى يوم القيامة.

- إلحاد التعنت والسَّفَه:

قال الشاب لي: كيف يعطيني الإله غرائز ثم يطالبني ألا أستعملها؟ وكيف يطالبني أن أخسر نقودي باسم الزكاة، وأن أخسر وقتي وجهدي باسم الصلاة، وأن أخسرها جميعا باسم الحج والعمرة؟

قلت له: إن الإنسان ليس بهيما تحركه الغرائز فقط. إن ما طلب منا هو توجيه هذه الغرائز وترشيدها، وفى ذلك ترقية للنفس وسمو للروح.

قلت له: إن كلامك هذا مليء بالأخطاء العلمية، فالدليل الحسى الذي تطلبه هو أضعف الأدلة! فالحس خادع. ألا ترانا نبصر قوس قزح ونبصر السراب وهما ليسا موجودين! وفى نفس الوقت فإننا لا نبصر أشياء أثبت العلم وجودها، كالجاذبية والثقوب السوداء. أما الدليل التجريبي فلا يُستخدم إلا في العلوم التجريبية كالفيزياء والكيمياء، وعندما تطلبه في قضية الألوهية فإنك تطلب دليلا في غير موضعه كالذي يريد أن يبصر بأذنيه! لذلك فإن الأدلة الأقوى في الاستشهاد على الألوهية هي الأدلة الرياضية والعقلية.

- إلحاد الإله الآخر:

أمعن بعضُهم في العبثية، فقال: ما أدراني أن الله الذي تدعوني إلى عبادته هو الخالق والرازق والشافي و ...؟ لم لا يكون الفاعل لهذه الأشياء إله آخر أو آلهة متعددون آخرون؟ قلت و داخلي سخرية لم أظهرها له : قد يكون طرحك مقبولًا إذا كنا قد التقينا في الشارع بإله ادعى أنه هو الخالق والرازق والشافي و... وطالبنا أن نعبده دون أن يقدم لنا الدليل، لكن الأمر ليس كذلك

حقيقة الأمر أننا عاينّا أفعال الخلق والرزق والشفاء ..... وأدركنا أن لا بد لها من فاعل عظيم منزه. ثم كان أن قدمت إلينا ديانات سماوية خاطبنا بها مَنْ قال «إنني أنا الله»، ونسب هذه الأفعال لذاته، وطالبنا أن نعبده ألا ترى أنه لو كان هناك آلهة أخرى هي الخالقة والرازقة والشافية .... لوجب عليها ألا تسكت على هذا الادعاء وأن تبين لمخلوقاتها الحقيقة، بل وأن تصفى حساباتها مع هذا الدعي!.

قال أبو العتاهية :

فَوا عَجَبًا كَيْفَ يَعْصي الإلـ ـهَ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجاحِدُ
وَلله في كُلِّ تَحْريكَةٍ وَفي كُلِّ تَسْكينَةٍ شاهِدُ
وَفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ [الأنبياء]

قال تعالى ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)﴾ [المؤمنون]

المحتويات

وهم الالحاد العالمى

٢٠٢٣